التوجهات المستقبلية في البحث التربوي
في تخصص الإدارة التعليمية والتربية المقارنة والدولية

إعداد

أ.د/ نهلة سيد أبو عليوة

استاذ التربية المقارنة والادارة التعليمية بكلية التربية
جامعة حلوان

التوجهات المستقبلية في البحث التربوي
في تخصص الادارة التعليمية والتربية المقارنة والدولية

أ.د/ نهلة سيد أبو عليوة*

النظر إلى التوجهات المستقبلية يتطلب النظر الى الحاضر وما يتضمنه من مشكلات تواجه البحث في هذا المجال، بداية فإن الإدارة التعليمية والتربية المقارنة والدولية تخصصات بيني Interdisciplinary ولذلك فهو تخصص ثري ومتنوع وغزير في الإنتاج المعرفي والجودة والقدرة التنافسية، قائم على التعاون والتكامل بين التخصصات العلمية المختلفة، وتطورت هذه التخصصات عبر الزمن واختلفت بشكل كبير في وحدات التحليل الخاصة بها.

التربية المقارنة في الألفية الثالثة تتميز بعدة خصائص من أهمها القراءة النقدية للسياق العالمي والسياقات الثقافية المتعددة، والفهم العلمي الصحيح للتحولات العالمية السريعة، وانعكاساتها على التعليم والتعلم، هناك اهتماما متزايدا بالنظم التعليمية القومية، و من أهم التداعيات التي ترتبت على التحولات العالمية: التحول الى مجتمع التعلم Society Learning ، وانتقال مركز الثقل والاهتمام من نظم التعليم القومية الى نظم التعليم العالمية، وتأسيس تربية المواطنة التي تجمع بين البعد القومي والبعد العالمي، واعتبار المقارنة الدولية لنظم التعليم بمثابة القياس المقارن لصنع القرارات التعليمية على مستوى الدولة القومية، مما يحتم ضرورة إعادة النظر والتجديد في بحوث التربية المقارنة ومناهجها، وخاصة أن التربية المقارنة علم عبر تخصصي الأمر الذي يستوجب ضرورة الاستفادة من التنوع للمنهجيات المتاحة سواء كانت كمية أو كيفية نوعية.

وفي ظل العولمة أجبر الباحثين على إعادة تصور العلاقات بين الزمان والمكان أو ما يطلق عليه (الزمكان)، فيعتبر منظرو التربية المقارنة أن المجتمع العالمي فضاء لامتناهي ولا يوجد أحد خارجه، ولا يمكن الاعتماد على الأساليب التقليدية في البحث أو استخدام نفس وحدات التحليل التي كانت سائدة في مرحلة الحداثة.

والسؤال المهم هنا: **هل ما زالت الدولة القومية هي الوحدة الأساسية للتحليل في أبحاث الادارة والتربية المقارنة والدولية؟؟**

* **أ.د/ نهلة سيد أبو عليوة:** أستاذ التربية المقارنة والإدارة التعليمية بكلية التربية – جامعة حلوان.

الإجابة أن العولمة ومرحلة ما بعد الحداثة أنتجت مفاهيم محتلفة يتم الاعتماد عليها بشكل كبير (الفضاء/ الاقليمية/ السرد المكاني) أو ما يطلق عليه "**التحول المكاني**" في العلوم الإنسانية والاجتماعية.

فالعولمة باختصار تعني تقليص سلطة الدولة القومية وتحويل حركة هذه السلطة، بشكل أساسي إلى هيئات فوق وطنية (عبر قومية).

وهذه التحولات فرضت أطر جديدة للتحليل والتفسير، وبرزت الخرائط الاجتماعية لبولستون أو (علم رسم **الخرائط الاجتماعية** لما بعد الحداثة)، وهذه الخرائط تقدم مجالا مغايرا يمكن فيه ترتيب المتطلبات المعرفية المتنافسة، لتوضيح العلاقات المتداخلة فيما بينهما، وبجانب الخرائط الاجتماعية ظهر مصطلح "الفضاء الخطابي" ويشير الى الفضاء كمجال للممارسة الثقافية، وما يتضمنه ذلك من تعدد وتنوع الثقافات وتراجع للثقافة الوطنية.

وما سبق يوضح الاختلاف في تناول الموضوعات البحثية في الادارة والتربية المقارنة والدولية في العصر الحالي وما سبقه من عصور طويلة ساد فيه مفهوم الدولة القومية واعتبارها مرجعية للبحث ووحدة أساسية للتحليل.

يمكن تصوير العولمه بشكل مختلف من خلال المكان والزمان فالاتصال الإلكتروني ادى إلى تاكل القيود الناتجة عن بعد المسافه والوقت، وأدى إلى زيادة التفاعل الاجتماعي، بالاضافه إلى تسريع الترابط يمكن أن يفهم على أنه التداخل بين الاقتصادات والمجتمعات المحليه بحيث تؤثر الأحداث في بلد ما بشكل مباشر على البلاد الأخرى، ويمكن النظر إلى العالم في اطار العولمه باعتباره عالم متقلص تآكلت فيه الحدود والحواجز الجغرافية أمام النشاط الاجتماعي والاقتصادي، ومن بين المفاهيم الأخرى العولمة التكامل العالمي إعادة ترتيب علاقات القوة بين الأقاليم والوعي بالظروف العالميه والترابط بين الاقاليم الجغرافيه المختلفه، كل هذه الأبعاد كان لها تأثير كبير على مجال التربية المقارنة

وبناء على ما سبق فان وحدات التحليل في البحث في مجال الإدارة التعليمية والتربية المقارنة والدولية اتسعت بشكل كبير وتجاورت حدود الدولة القومية، واصبحت تشمل المساحات الاقليمية (على سبيل المثال دراسة المناطق الحضرية والريفية أو المناطق فوق الوطنية مثل (منطقة البحر المتوسط/ منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا)، كما ظهرت المساحات الافتراضية (عبر الإنترنت) وكونت تجمعات ثقافية جديدة وأيضا مجتمعات معرفية عبر الحدود.

ويمكن تحديد خمسة أشكال مختلفة للعولمة وهي:

سياسيا، على سبيل المثال التكتلات الاقتصادية والمنظمات الإقليمية والدولية (الاتحاد الأوروبي أو الأمم المتحدة)، و**إداريا مثل** البحث عن أفضل الممارسات أينما كانت، و**اقتصاديا مثل** ظهور الشركات متعددة الجنسيات، و**ثقافيا** على سبيل المثال من خلال الأدب والسينما والموسيقى، و**بيئيا**، من خلال قضايا الاحتباس الحراري والتلو ث عبر القومية.

وتتطلب ما افرزته مرحلة ما بعد الحداثة التفكير بشكل مختلف وجديد حول كيفية بناء الهوية والمواطنة العالمية التي تتخطى حدود الزمان والمكان، عبر أزمنة ومساحات مختلفة.

التربية المقارنة والدولية والإدارة تخصص بحثي نمى وتغير في شكله وأصبح جزء من العلاقات الدولية والسياسية والاقتصادية والثقافية والتعليمية، فلم يعد المكان محدد بخصائص ثابتة كما كان من قبل في مرحلة الحداثة، وانما هو متغير ويتأثر بكل ما يحيط به من عوامل مختلفة على مستوى العالم.

وإذا استمر استخدام نفس المصطلحات ووحدات التحليل التي كانت سائدة فيما سبق (وخاصة التحليل في ضوء الدولة القومية) ستتجمد التربية المقارنة والدولية فتفسير الظاهرة البحثية باستخدام المنهجيات التقليدية لن يكون مجديا.

التحولات في التربية المقارنة والدولية والادارة التعليمية غيرت في شكل البحث وأدواته، وأصبح الاعتماد على مناهج البحث التقليدية تحد من الاستفادة من الأبحاث العلمية في التطوير والتنمية، وكذلك يمنعنا من فهم العالم الذي تعيش فيه.

التكعيب اطار للتحليل في دراسات التربية المقارنة في عصر العولمة

بشكل عام فقد شهد مجال التربية المقارنة تطورا كبيرا في عصر العولمة وحوكمة التعليم، ويتبادر سؤال مهم وهو" ما الذي يجب مقارنته الآن؟" مع الاخذ في الاعتبار كيفية "التفسير" في التربية المقارنة، كل ما سبق ادى الى تغيير بنية البحث في التربية المقارنة ومناهجه، وهناك نموذجين من التكعيب باعتباره من أهم المداخل المستخدمة عالميا في بحوث التربية المقارنة،ويقصد بالتكعيب "التحليل متعدد الأبعاد".

أولاً- نموذج روجر ديل:

اقترح روجر ديل Roger Dale في ضوء العولمة الاعتماد على مفاهيم مختلفة للتعليم بحيث تكون قابلة للمقارنة في كل الدول، بشكل مفيد لا يؤثر سلبًا على طبيعة البحث في هذا المجال، ومنها استبدال بعض المفاهيم التقليدية بمفاهيم تتناسب مع العولمة وتحقق مقارنة فعالة فعلى سبيل المثال يمكن استبدال (الدول أو الثقافات..) إلى متغيرات قابلة للتطبيق بشكل عام مثل المتغيرات التي تعتمد عليها كل دولة، وأشار روجر ديل Roger Dale إلى أنه كيف يمكن مقارنة المملكة المتحدة والسويد، أو جامايكا، على سبيل المثال، في توفير التعليم، وكيف يمكن فهم هذه الاختلافات؟ لن يكون ذلك من خلال أي مفهوم للبريطانية والسويدية والجامايكية

– أو هذا من أسمائهم –ولكن من خلال متغيرات مثل معدلات المواليد، ونصيب الفرد من الدخل، ومستويات معرفة القراءة والكتابة، ونسبة المعلمين إلى التلاميذ، وهكذا، وبالتالي عمل روجر ديل Roger Dale على التوجه نحو استبدال "التعليم" باسم مناسب يرتبط بمجموعة من المتغيرات التي يمكن من خلالها مقارنة المعاني المختلفة لـ "التعليم".

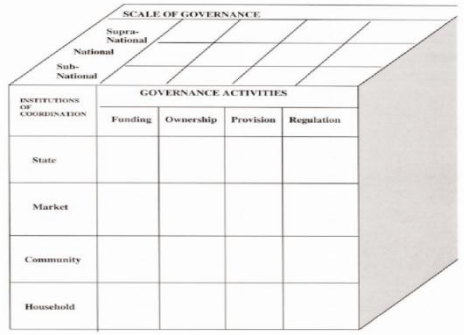

توضح النقاط في الشكل السابق أن الدولة القومية لم تعد الفاعل الوحيد او الأهم في مجال التعليم، وهذا يعني أن الشيء الأهم في المقارنة التعرف على تأثير العولمة على التعليم، أو حوكمة التعليم ويقصد بها مجموعات الأنشطة التعليمية، ومنسقيها والوكلاء والجهات الفاعلة، والمقاييس التي يتم بناء التعليم وفقا لها، وتقديمه في المجتمعات الوطنية.

ويتضح مما سبق أن نموذج التحليل وفقا للمكعب متعدد الأبعاد لم ينظر الى الدولة والمجتمع باعتبارهما شيء واحد، وانما فصل بين الدولة وبين المجتمع كأفراد قد يكون بينهم اختلافات عرقية، دينية وغيرها مما يؤثر على نوعية المشكلات ودراستها، ويفيد في التحليل.

ثانيًا– مكعب براي وتوماس Bray and Thomas التربية المقارنة في عصر العولمة:

يعد هذا النموذج إطارا حديثًا نسبيا للتحليل في التربية المقارنة في عصر العولمة، ويوضحه الشكل التالي:

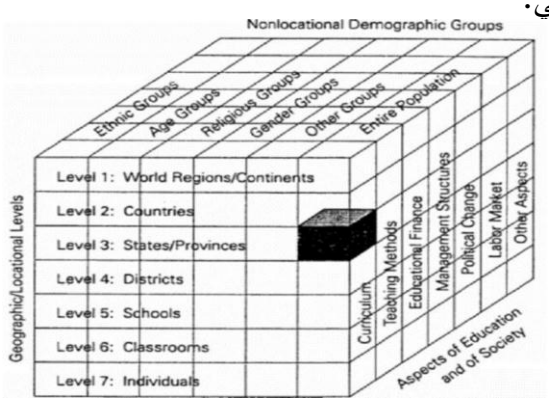

يوضح الشكل السابق سبعة مستويات للتحليل، قام براي وتوماس ١٩٩٥ بتقييم وانتقاد غالبية الدراسات في التربيه المقارنه التي تستهدف البلدان ومناطق العالم المختلفه.

مثال توضيحي:

عند دراسة **مشكلة اللاجئيين والمهاجرين** والأقليات لابد من الانتقال من التركيز على الدولة القومية إلى التركيز على المجتمع/ المدرسة/ الفصل الدراسي حيث إن كل منطقة في الدولة الواحدة تختلف عن المناطق الأخرى، عند دراسة **سياسات التعليم** من الضروري قراءة العالم، والأخذ في الاعتبار أن الزمان يسير بألف خطوة مختلفة (سريعة وبطيئة) وليس لها علاقة بتواجد المتعلمين في مكان واحد، وبالتالي لابد من التنوع في سياسات التعليم لتلائم هذه التحركات (المتعلمين في الألفية الثالثة لا يسيرون بخطى واحدة فهناك مساحات معرفية مختلفة يمكن التنقل بينها من خلال التطبيقات الإلكترونية).

أثرت مرحلة ما بعد الحداثة في أبحاث الإدارة التعليمية ظهرت مصطلحات المساواة والجنسانية فلا يزال الجنس يمثل حاجزا في العديد من المناطق في تحديد المسار الوظيفي، ويختلف ذلك وفقا للسياقات الجغرافية والاجتماعية والثقافية، والتمكين وغيرها.

بعض التوجهات المستقبلية في البحث التربوي في مجال الإدارة التعليمية والتربية المقارنة والدولية.

التعليم في أوقات الطوارىء/ تعليم اللاجئين/ التعليم متعدد الثقافات وإدارته/ إدارة التنوع/ القيادة.

أجندة التنمية المستدامة والتعليم/ النظريات الاجتماعية والتربية المقارنة /البعد الدولي في الإدارة التعليمية/ ميادرة الحزام والطريق والتعليم/ إدارة الابتكار/ سياسات إعداد المعلم/سياسات التعليم وجيل زد.